

التفسير المختصر - سورة الشعراة (٢٦) - الدرس (١٥٠٧) : تفسير الآيات ١٢٤ - ١٢٧ - ١٨٠ ، إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين.....  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٣٠-٠٧-١٩٩٥

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسْتَمِعُونَ القول فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ وَأَدْخِلُنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ.

أيها الإخوة الكرام، لازلنا في سورة الشعراة، وفي هذه السورة عدد من قصص الأنبياء، واليوم الحديث عن قوم عاد التي كذبت المرسلين قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَقَوَّنَ (١٢٤) إِنِّي لِكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧)﴾

[سورة الشعراة]

نَفِقَ عند هذه الآية:

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠)﴾

[سورة الشعراة]

يا ترى هل في القرآن الكريم آيات تدلنا على من ينبغي أن نتبعة؟! هل في القرآن الكريم آيات تُعطينا علامات للدعاة الصادقين؟ هناك عدة آيات، ينبغي أن نهدي بها، لأن هذا العلم دين فانتظروا عمن تأخذوا دينكم، ويَا ابْنَ عُمَرَ، دِينَكَ دِينَكَ، إِنَّهُ لِحَمْكَ وَدَمْكَ، خُذْ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا.

الآية الأولى:

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠)﴾

[سورة الشعراة]

كلمة أجر نكرة، والنكرة تُفيد الشمول، أي أي أجر؛ قليل أو كبير جليل أو حقير، قريب أو بعيد، مادي أو غير مادي، وما أسألكم عليه من أجر، من هذه في اللغة العربية تُفيد استغراق النوع، أي لو عرض عليك أحدهم أن تكون شريكه في مشروع، قلت له: ما معى مال؟ فأنت نفيت المال الكافي لهذا المشروع، مطلوب منك مليون وملايين خمسمائة ألف، أما إذا قلت له: ما معى من مال، فهذا يعني ليس عندك ولو ليرة واحدة! من تُفيد استغراق أفراد النوع، فالله عز وجل قال:

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾

[سورة الشعراة]

لا صغير ولا كبير، ولا سمعة ومدح، ولا مال، إطلاقاً قال تعالى:

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠)﴾

[سورة الشعراء]

الآية الثانية: قال تعالى:

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمَ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠)﴾

[سورة يس]

أينما وجد المال والجاه، وإحداث في الدين ما ليس فيه، وأينما وجدت المطامع؛ إبتعد عن هذا !  
وكلما وجدت نزاهة خالية من كل أجر فاقرب من هؤلاء ،

﴿قَالَ يَا قَوْمَ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْنَدُونَ (٢١)﴾

[سورة يس]

فهذه علامة.

العلامة الثانية: قال تعالى:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ (١٨)﴾

[سورة آل عمران]

علامة أولى العلم أنهم يشهدون لك عدالة الله تعالى، أما لو قال لك أحدهم: الله عز وجل خلقه كافراً قبل أن يخلق، وأجبه على الكفر ثم وضعه في النار إلى أبد الآيدين، هذا كلام غير مقنع؛  
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ (١٨)﴾

[سورة آل عمران]

أين قوله تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾

[سورة الززلة]

وأين قوله تعالى:

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلِمُونَ فَتَبَلِّغاً (٧٧)﴾

[سورة النساء]

وقوله تعالى:

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧)﴾

[سورة غافر]

وقوله تعالى:

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩)﴾

[سورة الروم]

وقال تعالى:

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ الْهَتْهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ  
لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ (١٠١)

[سورة هود]

أين قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٦)

[سورة هود]

فلو أن نجاراً صنع من الخسي باباً للمرحاض، وآخر لغرفة النوم فهل نقول له لماذا؟! هذا غير مقنع ! لأنّه هو صاحب الملكية ، فالعلامة الثانية ؛ ينبغي أن يشهد لك عدالة الله عز وجل.

العلامة الثالثة: قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٣٩)

[سورة الأحزاب]

فهذا الذي يبلغ رسالات الله فرضاً لو أنه خشي غير الله، من لوازم أنه يخشى غير الله أن يسكن عن الحق إرضاء له، وأن ينطق بالباطل تقرباً منه، فإذا سكت عن الحق، ونطق بالباطل، ماذا بقي من رسالة الله؟! لذا هذه الصفة سماها علماء اللغة والبلاغة: صفة مترابطة مع الموصوف ترابطاً وجديداً، فأنت قد تقول هذه الطائرة كبيرة، والأرض كبيرة، وكذا الباحرة كبيرة، وقد تقول هذه الطائرة فخمة، والبيت كذلك فخم، وهذه الكلمات صفات مشتركة أما هناك في الطائرة صفة لا غيت لأنّي ألغيت الطائرة، نقول: هذه الطائرة تطير فالطيران للطائرة ؛ صفة مترابطة مع الموصوف ترابطاً وجديداً، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٣٩)

[سورة الأحزاب]

لهم مليون صفة لكن الله سبحانه وتعالي من بين كل هذه الصفات اختار صفة واحدة، يخشونه ولا يخشوون أحداً سواه، فمن خشي غير الله، وسكت عن الحق إرضاء لمن خشي، وتكلم بالباطل إرضاء لمن خشي، ماذابقي من التبليغ؟! فهذه هي الصفة الثالثة.

الصفة الرابعة: قال تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ  
الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨)

[سورة يوسف]

معه دليل وبرهان وحجّة وتعليم، فدين الله أصل وأعظم من أن تفرضه فرضاً، والحق لا يخشى البحث، وليس معه حجّة، بين الدليل واسمع له وأعطيه الجواب، فالذى يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم معه دليل ؛ دليل عقلي ودليل نقلٍ وفطري وواقعي، وإن لم تجتمع الأدلة كلها في موضوع واحد، فهذا دليل على بطولة الموضوع، لا يمكن للحقيقة الصريحة أن يتخلّى عنها دليل، عقلي ودليل نقلٍ وفطري وواقعي، أربعة أدلة يجب أن تتوافق، قال تعالى:

﴿إِنَّا وَمَنْ تَبَعَنِي﴾

[سورة يوسف]

الدليل الخامس: قال تعالى:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغُو إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٢)

[سورة هود]

فالإنسان غير المُستقيم ليس مع رسول الله، وهذا مهما كان فصيح اللسان، ركعتان من ورعر خير من ألف ركعة من مخلط، ومن لم يكن له ورعر يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله، وترك دافق من حرام، خير من ثمانين بعد حجّة الإسلام، والله لأنّ أمشي مع أخي في حاجته، خير من صيام شهر واعتكافي في مسجدي هذا ! فالعلامة الخامسة هي الاستقامة، قبلها الدليل والتعليل والحجّة والبرهان، ولا بد من دليل عقلي ودليل نفلي وفطري وواقعي، والذي قبل هذا أن لا يخشى إلا الله، فإذا خشي غير الله سقطت دعوته والذي قبلها أن يسألك أجرًا بكل أنواعه.

قال تعالى:

﴿وَإِذْ ابْنَتِي إِبْرَاهِيمَ رَبِّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَّمَهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَأْلُمُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١٤)

[سورة البقرة]

حينما تنفذ أمر الله بال تمام والكمال يسمح الله لك أن تكون إماماً للناس والأية السابعة:  
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَكَاتُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (٧٣)

[سورة الأنبياء]

هناك ابتلاء كذلك، الابتلاء بالصبر والشّكر، والابتلاء بالشّكر وبتطبيق الحق مائة بالمائة، والاستقامة على أمر الله، والدليل والتعليل والتزه عن الأغراض الدنيا، هذه العلامات التي أشار القرآن إليها لتكون علامة من يجب أن تصنفي له، قال تعالى:  
﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢٨)

[سورة الكهف]

بالمقابل:

﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٥)

[سورة لقمان]

العلماء قالوا: لك آباء ثلاثة ، أب أنجاك، وأب زوجك، وأب ذلك على الله، فالآب الذي أنجبك ينتهي فضله عند الموت، والآب الذي زوجك ينتهي فضله عند الطلاق أو الموت، لكنّ الذي ذلك على الله يستمرّ فضله إلى الجنة إن أكرمنا الله بها.

قال تعالى :

## ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (١٧٩)

[سورة الشعراء]

الإِنْسَانُ قَدْ يَطْلُبُ أَجْرًا مَادِيًّا، مَثَلًا: لَوْ مَعَكَ شِيكٌ بِقِيمَةِ؟ أَلْفِ مَلِيُونِ دُولَارٍ، وَظَنَنْتَ أَنَّ هَذِهِ وَرَقَّةَ عَادِيَّةٍ، وَأَجْرَيْتَ عَلَى هَذِهِ الْوَرَقَةِ عَمَلِيَّاتٍ حِسابِيَّةً، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ هَذَا شِيكًا بِقِيمَةِ كَذَا وَكَذَا ! مَا الَّذِي تَشْعُرُ بِهِ ؟ ! تَصْطَدِمُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ